جامعة الأزهر
مركز صالح عبد الله كامل
للاقتصاد الإسلامي

AL-AZHAR UNIVERSITY
S.A. KAMEL CENTER
FOR ISLAMIC ECONOMICS

ندوة

الزراعة ومستقبل الاقتصاد المصرى

الاثنين : ٢١ رجب ١٤٢٢هـ الموافق ٨ أكتوبر ٢٠٠١م

الزراعة فى نظر الإسلام

أ.د. محمد عبد الحليم عمر

مدير مركز صالح كامل

للاقتصاد الإسلامي – جامعة الأزهر

الزراعة فى نظر الإسلام

ورقة عمل

أ.د. محمد عبد الحليم عمر(*)

تقديـــــم:

الأرض أم الإنسان من طينها خلق وعليها يعيش ومن خيراتها يحيا وفى باطـــنها تنتهى حياته، ولأن الإسلام دين كامل شامل شرع للبشر لهدايتهم دنيا وأخرى، لذا كان اهتمامه فى كل ما يتصل بالإنسان اهتماما كبيرا، والزراعة باعتـــبارها من الأرض ومصدر قوت الإنسان وقوام حياته كانت محل اهتمام كبـــير مـــن الإسلام، مما يدل فى نفس الوقت على أن الإسلام رسالة الله لكل البشر وليس لقوم خاصة، فبرغم أن الإسلام نشأ بالجزيرة العربية التى كانت ومازالـــت مجـــتمعا غير زراعى فإن اهتمام الإسلام بالزراعة يدل على أن نطاقـــه الجغرافى لا يقتصر على هذه الجزيرة وإنما هو دين لكل الدنيا وكل البشـــر ... ونـــدوة اليوم التى تعقد فى رحاب جامعة الأزهر تتناول الزراعة ومســـتقبل الاقتصـــاد المصـــرى لبيان أهمية الزراعة لهذا الاقتصاد وتوجيه العـــناية بهـــا، ولذا كان من المناسب أن تفتتح الندوة ببيان موقف الإسلام من الـــزراعة بشكل عام استجابة لدور الأزهر فى التأصيل الإسلامى للعلوم من ناحـــية، ولكـــى يتضح أن واجب الاهتمام بالزراعة ليس واجبا اقتصاديا فقط

(*) أســـتاذ المحاسبة بكلية التجارة، ومدير مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامي جامعة الأزهر

وإنمـــا هو واجب دينى نظراً لأن دين الإسلام يهتم بالزراعة وهذا ما سنشير إليه فى هذه الورقة التى تنتظم المعلومات فيها على الوجه التالى:

أولا: القرآن الكريم والزراعة

ثانيا: السنة النبوية الشريفة والزراعة

ثالثا: الفقه الإسلامى والزراعة

رابعا: النظم الإسلامية والزراعة

أولا: القرآن الكريم والزراعة

القـرآن الكريم هو المصدر الرئيسى للشريعة الإسلامية، والبيان الإلهى للبشـر، والنور الذى يضئ لهم الطريق، ومن بين ما تضمنه القرآن الأحكام السـديدة والتوجيهات الرشيدة التى تنظم أمور الحياة وتوجيه السلوك الإنسانى إلـى الطـريق المسـتقيم ... والـزراعة أحد أهم الأنشطة الاقتصادية التى بواسـطتها يحصـل الإنسان على مقومات حياته من القوت ومصدر السكن والملـبس، ولـذا نالت من القرآن الكريم عناية واهتماما كبيرا نشير إليه فى الآتى:

أ- لقد ذكرت الزراعة وما يتصل بها فى القرآن الكريم حوالى ٢١٩ مرة مائتين وتسعة عشر، مرة وهذا يدل بداية على مدى اهتمام القرآن الكريم بالـزراعة، خاصـة إذا علمنا أن هذا الورود للزراعة جاء فى معرض ذكر نعمة الله عز وجل على عباده وامتنانه سبحانه عليهم بتيسير الزراعة وتوفير مواردهـا الأساسـية فهو سبحانه الذى مهد الأرض وأحياها وجعلها صالحة للـزراعة وأنزل الماء من السماء لرى الأراضى بل إنه سبحانه وتعالى نسب

الزراعة لنفسه فقال عز من قائل: ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون﴾ والله تعالى لا يمتن إلا بخير ولا ينسب إليه إلا الخير فدل ذلك على أن الزراعة خير فى نظر الإسلام.

ب- ذكرت الأراضى الزراعية وليس مطلق لفظ الأرض، والموارد المائية الأروائية الزراعية والأنهار التى تجرى فيها المياه حوالى ٧٢ مرة اثنتان وسبعون مرة، وفى كل منها يخبر سبحانه أنه هو الذى أحيا الأرض بالزراعة وأنزل الماء للإنبات رحمة منه لعباده مثل قوله عز وجل ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا﴾ وقوله سبحانه وتعالى ﴿فانظر إلى آثار رحمة ربك كيف يحيى الأرض بعد موتها﴾ وقوله الكريم ﴿وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ﴾.

جـ- جاءت الإشارات إلى المحاصيل الزراعية من حب وثمار والشجر الذى يحملها والحدائق والمزارع التى تضمها ثم فى ذكر تفصيلى لبعض أنواع المحاصيل وذلك حوالى ٧٠ مرة فى القرآن الكريم، فذكرت من أصناف الفواكه العنب والتين والرمان والرطب، ثم النخل والشجر عامة، ومن المحاصيل الأخرى النبات بشكل عام والزرع والحب والعدس والبصل والقثاء والزيتون، وذكرت كلها فى معرض الامتنان من الله على عباده وأنه سبحانه الذى يخرجها لهم.

د- تمت الإشارة إلى بعض الأنشطة الزراعية مثل الحرث والصيد والزراعة والحصاد حوالى ١٥ خمس عشرة مرة ناسباً ذلك إلى نفسه سبحانه فى قوله ﴿أفرأيتم ما تحرثون أأنتم أم نحن الزارعون﴾ وآمرا سبحانه بالوفاء فى الحق فى الزرع عند الحصاد ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ .

هـ- أما الثروة الحيوانية من أنعام وأسماك وطيور والنحل وما يستفيد منها الإنسان من اللحم والركوب واللبن والانتفاع بالشعر والجلد والوبر والعسل فجاءت الإشارة إليها حوالى ٥٠ مرة خمسين مرة، كما جاء فى قوله تعالى ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون﴾ وقوله أيضا عز وجل ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين﴾ وقوله سبحانه ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين﴾ .

وهكـــذا فـــإن كثرة عدد الآيات التى تناولت الزراعة في القران الكريم والمعـــانى التى اشتمل عليها هذا التناول تدل على أن الزراعة هامة فى نظر الإسلام.

ثانيا: السنة النبوية الشريفة والزراعة

السنة تمثل المصدر الثانى الرئيسى للشريعة وجوانب الاهتمام بالزراعة فـيها عديـــدة ما بين السنة العملية حيث ازرع رسول الله ﷺ بالجرف، وقد كانـــت له فـــدك وســـهم بخيبر(١)، وبين السنة التقريرية حيث كان للصحابة الأفاضـــل أراضـــى للـــزراعة مثل عمر بن الخطاب ﷺ الذى كان له أرض بخيـــبر، وكـــان لابـــن عباس وابن مسعود والحسن بن على وأبى هريرة ﷺ مزارع بالسواد يزرعونها(2).

أما السنة القولية فإن ما ورد فيها عن الزراعة أكثر من أن يحصى فى هذا المقام ونكتفى هنا ببعضها:

– فى بيان فضل الزراعة تأتى عدة أحاديث منها قوله صلى اللّه عليه وســـلم "التمسوا الرزق فى خبايا الأرض" وقوله صلى اللّه عليه وسلم "ما من مســـلم يغـــرس غرسا أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كـــان له صدقة" وأخبر الصادق الأمين صلى اللّه عليه وسلم أن من الأعمال الـــتى يســـتمر ثوابها للعبد بعد موته سبعة أعمال منها ثلاثة تتصل بالزراعة وذلـــك فـــى قوله "سبعة يجرى العبد أجرهن من بعد موته وهو فى قبره، من

(١) المبسوط للسرخسى –دار المعرفة بيروت– ٢٥٩/٣٠ .

(٢) المرجع السابق.

علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس غرسا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له".

ويكفى فى بيان فضل الزراعة والحث عليها تحت كل الظروف قول الرسول ﷺ "إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعل".

وإلى جانب ذلك وردت أحاديث عديدة توضح الأحكام العملية الخاصة بتنظيم النشاط الزراعى مثل العلاقات التعاقدية بين مالك الأراض وزارعها سواء فى حالة المزارعة أو الكراء أو المساقاة، واستصلاح الأراضى فيما يعرف فقهيا بإحياء الموات فى قوله صلى اللّه عليه وسلم "من أحيا أرضا ميتة فهى له".

ثالثا: الفقه الإسلامى والزراعة

إن الفقه الإسلامى يمثل القانون الذى ينظم العلاقات بين الناس اعتمادا على ما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، لقد كانت الزراعة أحد أهم الأنشطة التى وجدت فى الفقه الإسلامى متسعا وفى جميع الأبواب طبقا للإرشادات التالية:

أ- ففى كتاب الطهارة تمت الإشارة إلى أنواع المياة ومنها ماء البحر وماء النهر وماء البئر وجاءت الإشارات بعدم الإسراف فيها.

ب- فى كتاب الصلاة وجدت «صلاة الاستسقاء» التى يؤديها المسلمون حال نقص المياة بالتوجه إلى اللّه سبحانه وتعالى بالدعاء لإنزال المياة.

جـ- فى كتاب الزكاة توجد أحكام زكاة الزروع وزكاة الثروة الحيوانية التى تحمل فى مضمونها حثا على مباشرة الزراعة وتربية الحيوانات كما أنها

تشـتمل علـى معلومـات هامة وخصوصا المقاييس الزراعية وكيفية تقدير الـزروع والـثمار وأنـواع الحيوانات المزكاة، وكلها تتصل بأمور فنية فى الزراعة.

د- وفي كتاب الحج تأتى المحافظة على الثروة الحيوانية والنباتية بتحريم الصيد وقطع النبات على الحجاج والمعتمرين مما يدخل فى باب حماية البيئة ووضع أول إطار لنظام المحميات الطبيعية.

هـ- فى كتاب البيوع بأنواعها تأتى أحكام تتصل بالزراعة منها عدم بيع الثمر قبل بدء صلاحه والمستور فى الأرض.

و- فى كتاب الزراعة والمساقاة تأتى أحكام تنظيم العلاقات التعاقدية بين ملاك الأراضى والمزارعين.

ز- كما يخصص الفقهاء باباً للمياه الأروائية لتنظيم كيفية استقساء الناس منها وحقوقهم فيها.

ح- ويوجد كتاب الصيد ليوضح الأحكام الخاصة بأنواع الحيوانات التى تصاد وأدوات الصيد.

ط- وأخيرا يأتى كتاب إحياء الموات والذى يمثل أول تشريع لاستصلاح الأراضى فى العالم.

رابعا: النظم الإسلامية والزراعة

لـم يكـتف علماء المسلمين بما ورد فى كتب الفقه عن الزراعة وإنما تـناولوها فـى كتـب النظم الإسلامية بدءا من المقارنة بين أفضلية الأنشطة الاقتصـادية مـن زراعة وتجارة وخدمات وصناعة حيث وردت مناظرات طـريفة حـول أفضلية أى من هذه الأنشطة وكان للقائلين بأفضلية الزراعة

قصب السبق حيث دللوا على أن الزراعة أطيب لأنها أقرب إلى التوكل واللّه تعـالى يحـب المتوكلين، وبينوا أن من أفضلية الزراعة أن نفعها يتعدى إلى غير الزراع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات، ومن فضائل الزراعة أن الله سـبحانه وتعـالى عدّ الزراعة من ضمن النعم التى أنعم الله بها على عباده ووصف نفسه بأنه يزرع وينزل الماء ويخرج الزرع ويحيى الأرض.

ولـيس هـذا من علماء الإسلام تقليلاً لأهمية باقى الأنشطة ولكن لأن الـزراعة مصدر قوت الإنسان وحاجاته الضرورية فى الحياة فإن لها التقدم والسبق حتى تتم الكفاية منها مع عدم إهمال الأنشطة الأخرى، بل إن بعضهم فـى الاختيار بين الأنشطة يربط بينها وبين شدة الاحتياج إليها فيقول إذا كان بالـناس حاجة أشد إلى القوت فتكون الزراعة أفضل، وإذا كانت الحاجة إلى الصـناعة تكون الصناعة أفضل، وإذا كانت الحاجة إلى التجارة تكون أولى، وهـذا ما يخرّج به بعض العلماء الأحاديث التى يفهم منها ذم الزراعة مثلما روى "أن النبى ﷺ رأى شيئا من آلات الحراثة فى دار قوم فقال ما دخل هذا بيت قوم إلا ذلوا" فتأولوا هذا الحديث وغيره بقوله "فإنه إذا اشتغل الناس كلهم بالـزراعة وأعرضـوا عن الأنشطة الأخرى وخاصة الجهاد وأعرضوا عنه حتى يطمع فيهم عدوهم".

وهكـذا يتضح لنا أن الزراعة فى نظر الإسلام هامة وهو ما يجب على المسلمين اليوم الاهتمام بالزراعة خاصة بعد ما قل اهتمامهم بها حتى صاروا يستوردون من الأغذية الكثير وأصبح تدبير قوتهم فى يد أعدائهم وهو أمر لا يقـبله الإسـلام للمسلمين خاصة فى ظل الهجمة الشرسة التى يوجهها أعداء الإسـلام للمسلمين اليوم، فعليهم أن يكتفوا بزراعاتهم لتحصيل أقواتهم لتكون

لهم القوة والمنعة والكلمة العليا التى أمرنا الله بها فى قوله عزل وجل ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

والله ولى التوفيق